مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية
Eissn : ...-..... Issn : 2353-043X
المجلد 08/ العـدد 01: (2021)، ص: 141- 162

معالم المنهج المقارن في تفسير الطاهر بن عاشور

Features of the comparative approach in the interpretation of Taher Ben Ashour

الأستاذ: هشام تقرورت[1]
[1]جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان- الجزائر.

ملخص:

لقد زخرت الساحة العلمية بجملة من المعارف والعلوم التي كان لها الأثر البالغ في حياة الفرد والمجتمع، وهذا الأمر تطلب جملة من المناهج العلمية التي أوضحت معالم تلك البحوث والأفكار، ولا ريب أن التزاوج بين ذلك النتاج العلمي وجعله في قالب المقارنة والموازنة: سيثمر ويعطي أكله وينتج عنه معارف جديدة وفهومات متنوعة. وعلى إثر هذا الفهم ظهرت في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية بما يسمى الدراسات المقارنة، ولقد أخذت العلوم الشرعية أكلها من هذه الدراسات.

فلقد ظهر في الدراسات القرآنية في شقه التفسيري تفسيرا عرف بالتفسير المقارن الذي اعتمد فيه على منهج المقارنة وتحليل الأقوال ونقدها، ودأب على هذا المنهج جمع غفير من المفسرين، وكان من بينهم الشيخ طاهر بن عاشور الذي ما فتئ إلا أن ينحو بهذا المنهج في تفسيريه ويطرح أفكاره وانتقاداته على أقوال العلماء.

الكلمات المفتاحية: معالم التفسير – المقارن- ابن عاشور

summary :

The scientific arena has been full of knowledge and science that has had a profound impact on the life of the individual and society, and this has required a number of scientific approaches that have clarified the parameters of such research and ideas, and there is no doubt that the intermarriage between that scientific product and making it in the

المنارة للاستشارات

form of comparison and budget will bear fruit, give its food and result in new knowledge and various ideas. As a result of this understanding, it has emerged in the field of humanities and social sciences in so-called comparative studies, and forensic sciences have taken their food from these studies.
In qur'anic studies in his explanatory apartment, he appeared in an interpretation known as the comparative interpretation in which he relied on the method of comparison, analysis and criticism of words, and this approach was consistently adopted by a large number of interpreters, including Sheikh Taher bin Ashour, who has only tended to this approach in his interpretation and put his ideas and criticisms on the words of scholars .
Keywords: The Contours of Interpretation - Comparative - Ibn Ashour

المؤلف المرسل: هشام تقروت

مقدمة:

تعتبر الدراسات القرآنية مصدرا مهما لعديد من الدراسات الفقهية أو اللغوية وغيرها، وذلك لما لها من أبعاد كثيرة وآفاق متنوعة في البحث. فدراسة القرآن الكريم باعتباره المصدر الأول للتشريع والمتكأ الأساسي للمسلمين، فسح المجال لعديد من الباحثين لدراسته من كل النواحي وهذا الأمر أثمر بظهور أفكار جديدة وفهومات جديدة ومتنوعة في شتى التخصصات.

اختلفت الرؤى وتنوعت زوايا البحث إلا أن محور الدراسة واحد وهو القرءان الكريم، ونتيجة تلك الفهوم والآراء التي ظهرت في ساحة التفسير، فنجد في بعض الآيات القرآنية عدة تفسيرات ذهب إليها أصحابها، وهذا سبب بعض الاختلاف في التفسير بين المفسرين. وقد عرض بعض الباحثين والعلماء إلى توضيح وبيان أسباب الاختلاف في التفسير.

المنارة للاستشارات

إلا أن هذا الأمر لم يحل مشكلة ذلك الاختلاف وإنما عرضها عرضا فقط، فكان من اللائق أن يدفع هذا الاختلاف؛ ويحقق الراجح من تلك الأقوال أو يحدد أوجه الاختلاف والائتلاف ويجمع بينها قدر الإمكان.

اعتمد بعض المفسرين على منهج علمي موضوعي في تحرير مواطن الخلاف والاختلاف بين آراء العلماء، إذ حاول المزواجة بين تلك الأقوال والآراء التفسيرية وجعلها في قالب الموازنة والمقابلة حتما سيأتي أكله ويثمر إما قولا راجحا أو قولا جديدا جامعا لتلك الأقوال، وهذا هو دور المنهج المقارن القائم على المقابلة والموازنة بين الآراء.

كان لعديد من المفسرين والباحثين في هذا المنهج الكثير من المحاولات لتحرير مواطن الخلاف بين الآراء التفسيرية، ومن بينهم نذكر الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور الذي أظهر في تفسيره معالم هذا المنهج الذي يعد منهجا مثمرا في البحث العلمي.

وعلى إثر هذا نروح في هذه الورقة البحثية إلى إبراز معالم المنهج المقارن في ثنايا تفسير الطاهر بن عاشور والمنهجية المتبعة في ذلك، ويكتسب هذا الموضوع أهمية بالغة في مجال الدراسات القرآنية إذ محور بحثه هو كلام الله عز وجل وهو منهج مثمر لآراء جديدة وفهومات متنوعة، وهذا الأمر يقودنا إلى طرح إشكالات وتساؤلات نسعى من خلال هذا البحث الإجابة عنها، وهي كالتالي: كيف طرح الشيخ طاهر بن عاشور أقوال المفسرين وآرائهم التفسيرية؟ ما تجليات المنهج المقارن في تفسير طاهر بن عاشور؟ من أجل هاته الغايات نرسم التصور التالي:

الورقة الأولى: تعريف المنهج المقارن.

المنارة للاستشارات

لا يتأتى لنا معرفة معنى المركب الوصفي إلا بعد معرفة معاني جزئيه، وهذا هو المنهج الذي دأبت عليه الدراسات العليا في كل بحوثها ومعارفها، فهذا يعطي مفهوما جديدا ومعالم متزنة الأطراف بعد البحث والتمحيص.

1- تعريف المنهج:

لغة: جاء في المعاجم اللغوية أن المنهج مشتق من فعل (نهج) أي بمعنى الطريق الواضح[1]، ونهج الطريق إذا سلكته[2]، ويطلق النهج أيضا على الاقتداء والابتكار[3].

اصطلاحا: تعددت تعاريف المنهج من الجانب الاصطلاحي فعرف على أنه: "وسيلة إلى قيادة العقل الإنساني إلى الحقيقة، أو إلى ما يغلب على الظن أنه الحقيقة، حتى لو لم تكن هي الحقيقة في الواقع ونفس الأمر؛ فالحقيقة مثل كنز دفين يبحث الإنسان عنه بوسائل متعددة"[4].

وعرف المنهج أيضا أنه: "وسيلة وأداة لبناء قواعد التفكير، وإرساء دعائم ضوابط البحث العلمي والمعرفي، التي من شأنها أن تعصم الذهن من الوقوع في الخطأ في الفكر وفي البحث العلمي"[5].

وقد ذهب البعض "إلى أن المنهج: مجموعة من العمليات الذهنية تتيح للباحث قدرة على تحليل وفهم تفسير الظواهر المختلفة"[6].

وعرفه أيضا أحمد مختار أنه: "خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها"[7].

---

[1] جمهرة اللغة العربية، أبو بكر الأزدي، تح: زمزي بعلبكي، ج01، ص498.

[2] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، تح: أحمد عطار، ج01، ص346.

[3] معجم اللغة العربية المعاصر، أحمد مختار، ج03، ص2290.

[4] معالم في المنهج القرآني، طه جابر العلواني، ص27.

[5] المصدر نفسه، ص28.

[6] المصدر نفسه، ص29.

[7] معجم اللغة العربية المعاصر، أحمد مختار، ج03، ص2291.

المنارة للاستشارات

من خلال هاته التعاريف نستنتج أن المنهج وسيلة للبحث تمشي وفق خطة منظمة وتساعد الباحث على التحليل والتفسير وفهم الظواهر وتقلل من الوقوع في الخطأ في الفكر والبحث العلمي.

نرى في في البحوث العلمية التي تستند على منهج متكامل الأطراف؛ أنها تتسم بالدقة والوضوح في المعطيات والنتائج التي تتوصل إليها.

يمكن أن نعرف المنهج بأنه تلك "**الخطة العلمية المنظمة التي تعصم العقل من الخطأ، وتمكن الباحث من التحليل والاستنتاج اعتمادا على وسائل وطرق موصلة إلى ذلك**". هذا التعريف لا يخرج من دائرة التعاريف التي سيقت من قبل؛ فهو زبد أو خلاصة تلك التعاريف.

2- المقارن:

لغة: المقارنة: مشتقة من الفعل الثلاثي **(قرن)** جاء في المعاجم أن معنى (قرن): "يدل على جمع شيء إلى شيء، يقال للحبل قران لأنه يجمع بين شيئين، والقرن في الحاجبين، إذا التقيا، ويطلق القران على من قرن حجة بعمرة، وقرينة الرجل: امرأته ويقولون: سامحته قرينته وقرونته وقرونه أي نفسه، والقرن مثلك في السن"[8]. فمما سبق فللمقارنة دلالات كثيرة منها أنها تعني الجمع بين الشيئين والوصل والالتقاء ويطلق كذلك على الزوجة والنفس لأنهما ملازمان له؛ وكذلك الرجل الذي يماثل صاحبه أو المكافئ له والمساو.

اصطلاحا:

ذكر الدكتور فتحي الدريني أن "مقارنة الرأي بالرأي: مقابلته أو موازنته به، ليعرف مدى اتفاقهما واختلافهما، وأيهما أقوى بالدليل"[9].

[8] ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج05، ص76.

[9] الفقه الإسلامي المقارن مع المذاهب، فتحي الدريني، ص05.

المنارة للاستشارات

وجاء في معجم الوسيط أن المقارنة هي: "الجمع بين الشيء والشيء والموازنة بينهما فهو مقارن يقال الأدب المقارن أو التشريع المقارن"[10].

وقد أطلق عليه فريد الأنصاري بمصطلح الحوار فقال: "فنقصد (بالحوار) العملية المبنية على الأخذ والعطاء أو التقابل أو التناظر، بين قضيتين أو أكثر، إنه نسق مبني على رصد علاقات الاختلاف والائتلاف في الدراسات المقارنة والوظيفية والجدلية"[11].

إذن فالمقارنة أو الحوار كما أطلقه عليه فريد الأنصاري هو تلك العملية القائمة على الموازنة والتقابل والتناظر بيم قضيتين أو أكثر لتحرير مواطن الاتفاق والاختلاف.

المنهج المقارن:

عرج الدكتور فريد الأنصاري إلى تعريف هذا المنهج، إذ أنه "منهج يقوم على دراسة التفاعل، الحاصل بين القضايا العلمية، من خلال الصورة المذكورة"[12]، أي من خلال الأخذ والعطاء ورصد علاقات الاختلاف والائتلاف بين المسائل والقضايا.

فيمكن القول أن المنهج المقارن هو ذلك المنهج المبني على الأخذ والعطاء بين قضيتين أو أكثر لرصد مواطن الاتفاق والخلاف، وبهذا التزاوج ينتج مفهوم جديد وبحث متناسق ومنسجم بفضل التلاقح الحادث بين تلك الأفكار.

[10] المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج02، ص730.

[11] أبجديات البحث في العلوم الإسلامية، فريد الأنصاري، ص111.

[12] المصدر نفسه، ص111.

المنارة للاستشارات

الورقة الثانية: منهجية البحث في التفسير المقارن.

شاع على الدراسات والبحوث العلمية التي تعتمد على المنهج المقارن القائم على المقابلة بين الآراء والأقوال ومحاولة رصد مواطن الخلاف والائتلاف باسم المقارن، فكان منها الأدب المقارن والتفسير المقارن والفقه المقارن وغيرهم.

ومحور دراستنا هذه هو التفسير المقارن إذ يعرّف بأنه "بيان كلام الله تعالى بالراجح من الأقوال التفسيرية، المختلفة اختلافا حقيقيا أو معتبرا بعد الموازنة بينهما في ضوء منهجية علمية منضبطة"[13]، فهذا التفسير يسعى إلى الخلوص بقول راجح بين تلك الأقوال والآراء التفسيرية، وهذا لا يتأتى إلا بالسير وفق منهجية علمية منضبطة واضحة الأبعاد والرؤى.

إن اتباع الخطوات والمنهجية المثلى في المنهج المقارن يرسم الأطر المعرفية ويكشف عن أبعاد الدراسة، وفي هذه الورقة البحثية يعنينا التفسير بشكل خاص، الذي نهج فيه بعض العلماء على المنهج المقارن، في المقارنة والموازنة بين الأقوال التفسيرية للعلماء.

انبثق عن هذا المنهج تفسير أطلق عليه التفسير المقارن، الذي عرف به ثلة من المفسرين، وكشفت عنه بعض الدراسات القرآنية، ولا يتأتى الوصول إلى أهداف هذا المنهج إلا باتباع المنهجية الصحيحة والطريقة المثلى التي يجب على باحث أو مفسر أن يعتمدها ويراعيها ويحذو حذوها.

إن الهدف من هذه المقارنة الوقوف على أقوال العلماء، ومعرفة وجهات نظرهم في تفسير الآية التي اختلفوا فيها، ومعرفة الأدلة التي استندوا إليها ليعلم أي الآراء أرجح دليلا وأقواها برهانا واستدلالا.

[13] التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق، روضة فرعون، إشراف: فضل حسن عباس، ص43.

المنارة للاستشارات

وعلى إثر هذا سنعرض الخطوات التي تعين الباحث والمفسر على ضبط سلطان عقله أثناء المقارنة، وهذه الخطوات كالتالي:

1- **تحديد الآيات:** في هذه الخطوة "يحدد فيها الآية المراد دراسة أقوال المفسرين فيها"[14]، إذ يعرض فيه المفسر أو الباحث الآية المراد تفسيرها، ويشير فيها إلى موضع الخلاف حتى يتسنى له عرض الأقوال بالتسلسل المنطقي.

2- **عرض الأقوال:** يطلع الباحث على أقوال المفسرين حول تفسير الآية ويستنبطها من أمات التفاسير، لأن "أمهات التفاسير تفي بالغرض، ذلك أنه يمكن استمداد الأقوال الرئيسية منها، وهي المرجع للتفاسير الأخرى"[15]. فهي تخفف نقل المعلومة؛ وهذا الأمر معتمد كذلك عند المقارنة بين أقوال الفقهاء ، إذ على الباحث في الدراسات الفقهية "أن يتحرى النقل الصحيح من كتب الأئمة المعترف بصحة نسبتها إلى أصحابها، وأن يعمد في نقله إلى أقوى الآراء عند كل مذهب ممن يقارن بين مذاهبهم"[16]، وهذا الأمر يقودنا إلى خطوة ثانية في التفسير المقارن سنقوم بشرحها في النقطة الموالية.

3- **الجمع التحليلي:** هذه الطريقة تعتمد على طريقتين أولها الجمع بين "الأقوال المختلفة في الآية اختلافا حقيقيا معتبرا"، لا اختلاف تنوع؛ فالاختلاف الحقيقي يحرر مواطن النزاع والخلاف بين المفسرين؛ ويعرب أيضا عن مناهجهم وأساليبهم في التفسير. ومن ثم يعرض الباحث إلى تلك بالتحليل والفهم لتلك الآراء التفسيرية، والوقوف على المراد الحقيقي لأصحابها.

4- **بيان الأدلة ووجوه الاستدلال:** يعرض المفسر أو الباحث الأدلة لكل مفسر على ما أمكنه، ثم يعرض أوجه الاستدلال فيبين "كيفية فهم المفسر للدليل

---

[14] المصدر نفسه، ص65.

[15] التفسير المقارن، روضة فرعون، ص65.

[16] منهاج الطالب في المقارنة بين المذاهب، عبد السميع أحمد إمام، ص41.

المنارة للاستشارات

الذي استدل به، أو الجهة التي نظر منها المفسر إلى الدليل، فتصور فيه شاهدا يصلح لتأييد قوله"[17]، وعليه فإن معرفة وجوه الاستدلال يسهل على المفسر أو الباحث معرفة مواطن الخلاف بين المفسرين، ويبسط عملية تحريرها، ولا يتأتى ذلك إلا بمعرفة الأصول التي اعتمد عليها المفسرون، وهذا مدار النقطة الموالية.

5- **معرفة الأصول والقواعد المعتمدة في التفسير:** إن معرفة الأصول والقواعد التي ارتكز عليها المفسرون في عرض آرائهم التفسيرية، يسهل على الباحث أو المفسر المقارن بين تلك الأقوال عملية تحرير مواطن الخلاف والائتلاف بينها، لأن تأسيس أي معرفة لا يكون إلا إذا كانت هناك أصول وقواعد تكون هي المرتكز الأساسي للفهم وطرح وجهات الرأي؛ وهذا ما أشار إليه عبد السميع أحمد إمام حول المقارنة بين آراء المذاهب، إذ ينبغي على الباحث "أن يكون عالما بالأصول التي اعتمدها كل إمام في طريقة استنباطه ممن يقارن بين آرائهم في المسألة، ليعلم وجهة نظرهم في استنباط الأحكام من أدلتها، وليدري أيهم سار على قواعده التي اعتمدها، وأيهم خالفها"[18]، وهذا الأمر كما قلنا يطلق العنان للمقارنة إما بالجمع بين الأقوال أو الترجيح بينها.

6- **تحرير محل الخلاف وتحديد أسباب الاختلاف بين المفسرين:** يعمد الباحث في هذه المرحلة إلى تحرير محل الخلاف والنزاع بين المفسرين، وذلك بعد جمع أقوالهم ودراسة مناهجهم وأصولهم وقواعدهم التفسيرية التي اعتمدوها.

وهذا الأمر يقودنا إلى معرفة أسباب الاختلاف في التفسير، ولقد عقد صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتابه تعريف الدارسين بمناهج المفسرين مبحثا عنونه بأسباب اختلاف المفسرين؛ إذ عرض فيه أن أجود من نقل وصنف في أسباب الاختلاف، إذ قال: "وقام بعض العلماء برصد أسباب اختلاف المفسرين وتصنيفها وبيانها

[17] التفسير المقارن، روضة فرعون، ص66.

[18] المصدر السابق، ص42.

المنارة للاستشارات

والتمثيل لها. وأجود من صنف في أسباب الاختلاف الإمام ابن تيمية، حيث رصدها وسجلها في رسالته (مقدمة في أصول التفسير)، التي حققها الدكتور عدنان زرزور"[19].

عدد صلاح عبد الفتاح الخالدي هذه الأسباب ومثل لها في كتابه[20]، وكان لروضة فرعون رأي في أسباب هذا الاختلاف وقد أرجعته إلى ثلاثة أسباب أساسية:

السبب الأول: الاختلاف الناشئ عن ألفاظ الآية ويشمل: 1- تعدد القراءات، 2- المشترك اللفظي، 3- التراكيب المشتركة، 4- التطور الدلالي، 5- الحقيقة والمجاز، 6- العموم والخصوص، 7- الإطلاق والتقييد.

السبب الثاني: الاختلاف الناشئ عن الروايات المنقولة، ويشمل: 1- الأحاديث النبوية، 2- أسباب النزول.

السبب الثالث: الاختلاف الناشئ عن تغاير الخلفيات الفكرية وتباين الملكات: 1- عصر المفسرين، 2- التعصب المذهب، 3- إغفال السياق[21].

هذه الأسباب جعلت التفاسير تتغاير وتختلف وتتعدد من مفسر لآخر، وهذا ما يجعل عملية المقارنة تكون صعبة كلما كانت أوجه الاختلاف متعددة ومتباينة.

7- **استخراج الأقوال الراجحة:** وهذه ثمرة المقارنة التي يتحصل عليها الباحث أو المفسر؛ وذلك بعد تلاقح تلك الأفكار وتمحيصها ومناقشتها ومحورتها في قالب علمي رصين، يعتمد على الموضوعية والدقة في طرح الأفكار ومناقشتها وتحليلها. فقد يخرج الباحث أو المفسر بقول مختار ينتقيه من خلال تلك الآراء المختلفة الواردة في تفسير الآية، أو يحاول الجمع بين الأقوال ويثبت أوجه الاشتراك والاتفاق فيقوي الأقوال فيما بينها ويعضد بعضها بعضا، أو يستنتج

---

[19] تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص81.

[20] ينظر: المصدر نفسه، ص92 وما بعدها.

[21] التفسير المقارن، روضة فرعون، ص113.

المنارة للاستشارات

قولا جديدا يبدو له وذلك انطلاقا من تلك الأقوال والأصول والقواعد التي تعصمه من النوع في الخطأ.

الورقة الثالثة: التعريف بالشيخ الطاهر ابن عاشور.

يعد الشيخ الطاهر بن عاشور قامة من قامات تونس الذين ذا صيتهم، برع في المقاصد والتفسير واللغة والنحو وبلاغة وغيرهما. ولقد زخر تفسيره بجملة من العلوم؛ فكان تفسيرا في غاية البيان والإبداع، مستنا بسنة السلف الصالح؛ معتمدا كذلك على أصول وقواعد التفسير. كان لهذا التفسير قيمة علمية كبيرة لما يحمل في طياته من الدرر المقاصدية والفقهية والعقائدية وحتى القراءات القرآنية والنكت اللغوية التي ما فتئ تفسيره يخلو منها، فحظي هذا التفسير باهتمام شديد بالدراسة وإقبال كبير عليه من قبل الباحثين والعلماء من أجل استخراج دره ومكنوناته.

ففي هذه الورقة سنعرض بعض المحطات التعريفية بسيرته الذاتية وبيئته التي نشأ وترعرع فيها، ونتصفح ورقات ذلك التفسير ونستنبط المنهج المقارن ونتدارس تلك المسائل التي عرضها.

1- مولده ونسبه:

هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور[22]، ينتمي الشيخ إلى شجرة آل عاشور؛ التي يرجع أصلها الأول إلى "محمد ابن عاشور، ولد بمدينة سبلا من المغرب الأقصى بعد خروج والده من الأندلس فارا بدينه من القهر والتنصير، توفي سنة (1110ه) وسطع نجم آخر وهو الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وهو جد مترجمنا، والذي ولد سنة (1230ه) وقد تقلد مناصب هامة كالقضاء والإفتاء والتدريس، والإشراف على الأوقاف الخيرية، والنظارة على بيت

[22] تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ج03، ص304.

المنارة للاستشارات

المال، والعضوية بمجلس الشورى"[23]، للشيخ أصل شريف يأبى بيع دينه بدنياه ومتشبع بالعلم والأدب، ولد ابن عاشور في جمادى الأولى سنة 1296هـ الموافق لشهر سبتمبر 1879م[24].

2- مسيرته العلمية:

ذكرنا في ما سبق أن أصل الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور يعود إلى جده الأول ابن عاشور الذي فر بدينه من الأندلس خوفا من الحملات الصليبية التنصيرية، وكان جده من أبيه قامة في العلم والقضاء وتقلد مناصب هامة في الدولة. وكان من بين تلاميذه الشيخ محمد العزيز بن عتور الذي هو جده من أمه. لقد "نشأ الشيخ محمد ابن عاشور في بيئة علمية لجده للأب قاضي قضاة الحاضرة التونسية، وجده للأم الشيخ محمد العزيز بوعتور، ففي هذا الوسط العلمي والسياسي والإصلاحي شب مترجمنا فحفظ القرآن الكريم حفظا متقنا منذ صغر سنه، وحفظ المتون العلمية كسائر أبناء عصره من التلاميذ، ثم تعلم ما تيسر له من اللغة الفرنسية"[25].

التحق بجامع الزيتونة في سنة (1310هـ- 1892م) وتتلمذ فيها، واجتهد إلى أن تقلد فيها مناصب سامية، وكان نائبا عن الدولة لدى نظارة جامع الزيتونة، فسعى بكل الطرق وما سنحت له الفرص في إصلاح المنظومة التعليمية. تولى القضاء سنة 1913، ثم مفتيا مالكيا سنة 1923م[26].

عرف الشيخ بغزارة علمه وإتقانه لكثير من العلوم منها التفسير، والحديث، والقراءات، ومصطلح الحديث، والبيان واللغة والتاريخ وغيرها، كان نابغة عصره؛

---

[23] بيان موقف الإمام ابن عاشور من الشيعة، خالد بن أحمد الشامي، ص15.

[24] المصدر نفسه، ص17.

[25] بيان موقف الإمام ابن عاشور من الشيعة، خالد بن أحمد الشامي، ص17.

[26] ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ج03، ص306.

المنارة للاستشارات

وما زاده بهاء وجمالا تزينه بالأخلاق الرضية والتواضع، قال عنه زميله ورفيقه الشيخ محمد الخضر حسين: "وللأستاذ منطق وبراعة بيان ويضيف إلى غزارة العلم وقوة النظر صفاء الذوق وسعة الاطلاع في آداب اللغة" إلى أن قال "وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقة وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم"[27]، نلاحظ من كلام الشيخ محمد الخضر حسين مدى تضلع الشيخ الطاهر ابن عاشور في العلوم التي لبست حلة الآداب ووضاءة الأخلاق؛ ونظره الثاقب في أمور الدين والدنيا، وهذا ما ظهر جليا في تفسيره.

3- شيوخه وتلاميذه:

اكتسب الشيخ عما واسعا و ثقافة كبيرة قل نظيره في ذاك الزمان، فقد جمع جملة من العلوم و الفنون من أدب و لغة و قراءات و منطق وغيرها. و يعود الفضل في ذلك إلى شيوخه الذين تربى على أيديهم ونهل من علومهم أمثال "محمد النجار، الشيخ سالم بوحاجب، والشيخ محمد النخلي، والشيخ محمد بن يوسف، والشيخ عمر ابن عاشور والشيخ صالح الشريف"[28]. فكان لهؤلاء المشايخ الدور الكبير في بناء ملكاته العلمية وتقويم سلوكه فأصبح نابغة عصره لا يشق له غبار.

كان الشيخ ابن عاشور مهتما كثيرا بإصلاح المنظومة التعليمية في الحاضرة التونسية، وحاول تحسين الحالة المعيشية والاجتماعية للطلبة. تتلمذ على يديه ابنه محمد الفاضل أحد الأئمة الأعلام في تاريخ تونس المعاصر ومن أعلام الفكر السياسي الحديث، الموسوعي الثقافة، والخطيب اللامع والسياسي المحنك[29]. وتتلمذ على يده أيضا زين العابدين[30] وغيره من التلاميذ.

---

[27] ينظر المصدر نفسه، ج03، ص306.

[28] بيان موقف الإمام ابن عاشور من الشيعة، خالد بن أحمد الشامي، ص20.

[29] ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ج03، ص310.

[30] ينظر: المصدر نفسه، ج02، ص136.

المنارة للاستشارات

4- مؤلفاته:

كان الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور قامة في العلم، وعلما من أعلام حاضرة تونس، عرف بغزارة العلم ووضاءة أخلاقه وتواضعه، لقد ترك الشيخ ثروة علمية زاخرة في مجالات عدة نكر منها:

- التحرير والتنوير.
- مقاصد الشريعة الإسلامية.
- أليس الصبح بقريب.
- الوقف آثاره في الإسلام.
- كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ.
- قصة المولد النبوي الشريف.
- شرح قصيدة الأعشى الأكبر في مدح المحلق.
- موجز البلاغة.
- تحقيق ديوان النابغة الذبياني.
- تراجم بعض الأعلام[31].

هذه بعض مؤلفاته التي كتبها وحققها في حياته رحمه الله، تعرب عن مدى سعة علمه وإتقانه لفنون شتى أصبح مرجعا يستند إليه في ذلك.

5- وفاته:

لقد كانت حياة الشيخ حافلة بالعلم والأدب والمثابرة ومواجهة تحديات الإصلاح، فقد اشتهر بالصبر وقوة الاحتمال وعلو الهمة والاعتزاز بالنفس والصمود أمام الصعاب والترفع عن الدنايا، توفي يوم الأحد 13 رجب 1393هـ الموافق ل 12 أوت

[31] ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ج03، ص308/307./ بيان موقف الإمام ابن عاشور من الشيعة، خالد بن أحمد الشامي، ص30-32.

المنارة للاستشارات

1973م ودفن بمقبرة الزلاج[32]. ذاع صيته كل أرجاء المعمورة وتلقت كتبه القبول بين الباحثين والعلماء والمثقفين.

الورقة الرابعة: تكييف المنهج المقارن في تفسير الطاهر ابن عاشور.

نحى الشيخ طاهر ابن عاشور في تفسيره نحو المفسرين ثم أضاف صبغته الخاصة به؛ التي تزين بها تفسيره وأفصحت عن مدى عبقريته وغزارة علمه. فكان تفسيره جامعا لفنون جمة منها علوم القرآن والقراءات واللغة وحتى المقاصد والفقه وأصوله، فلا غرو في ذلك إذ أنه رجل تشبع بالعلم والأخلاق عند جهابذة عصره، وما نلمحه في تفسيره استعانته بالمنهج المقارن لعرض أقوال العلماء وتمحصيها، فقد تعرض بهذا المنهج لمسائل عدة نحصي منه أمثلة فقط.

المسألة الأولى: قوله تعالى: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (3)} الفاتحة 03.

يقول الطاهر ابن عاشور في تفسير للرحيم "وأما الرحيم فذهب سيبويه إلى أنه من أمثلة المبالغة وهو باق على دلالته على التعدي وصاحب «الكشاف» والجمهور لم يثبتوا في أمثلة المبالغة وزن فعيل فالرحيم عندهم صفة مشبهة أيضا مثل مريض وسقيم، والمبالغة حاصلة فيه على كلا الاعتبارين."[33]

عرض الشيخ ابن عاشور كلام النحويين في هذه المسألة أو الأقوال الواردة في هذه الكلمة من الجانب اللغوي، إذ حاول الجمع بين القولين فاستنبط وجه الاشتراك بين هذه الأقوال بقوله: " والمبالغة حاصلة فيه على كلا الاعتبارين". فالرحيم هو للمبالغة على صفة الرحمة؛ وعلل الطاهر ابن عاشور ذلك إذ لا يوجد "لا خلاف بين أهل اللغة في أن الوصفين دالان على المبالغة في صفة الرحمة أي تمكنها وتعلقها بكثير من المرحومين وإنما الخلاف في طريقة استفادة المبالغة منهما وهل هما مترادفان في الوصف بصفة الرحمة أو بينهما فارق؟ والحق أن استفادة

[32] ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ج03، ص307.

[33] التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ج01، ص171.

المنارة للاستشارات

المبالغة حاصلة من تتبع الاستعمال وأن الاستعمال جرى على نكتة في مراعاة واضعي اللغة زيادة المبنى لقصد زيادة في معنى المادة"[34]. هذا التعليل دليلا قطعيا للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور لكي يرجح قول سيبويه في هذه المسألة بقوله: "والحق ما ذهب إليه سيبويه"[35]، وهذا هو حاصل المقارنة بين أقوال العلماء ونتائجها إذ تحصل القول الراجح بقوة الحجة والدليل.

المسألة الثانية: قوله تعالى: {ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين (195)} سورة البقرة 195.

ذكر الشيخ طاهر ابن عاشور عدة أقوال في تفسير هذه الآية فقال: " وقد قيل في تفسير ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أقوال:

الأول أن أنفقوا أمر بالنفقة على العيال، والتهلكة: الإسراف فيها أو البخل الشديد رواه البخاري عن حذيفة، ويبعده قوله في سبيل الله وأن إطلاق التهلكة على السرف بعيد وعلى البخل أبعد.

الثاني أنها النفقة على الفقراء أي الصدقة والتهلكة الإمساك وبعده عدم مناسبة العطف وإطلاق التهلكة على الإمساك.

الثالث الإنفاق في الجهاد، والإلقاء إلى التهلكة الخروج بغير زاد.

الرابع الإلقاء باليد إلى التهلكة: الاستسلام في الحرب أي لا تستسلموا للأسر.

الخامس أنه الاشتغال عن الجهاد وعن الإنفاق فيه بإصلاح أموالهم"[36].

عرض الشيخ ابن عاشور تلك الأقوال التفسيرية وأخذ بمناقشتها ورد ما لا تحتمله الآية فقدم حجة لذلك الرد على كلا القولين الأوليين، أما ما بقي من تلك الأقوال فهي معان تحتملها الآية، فقد ذكر رواية عن الترمذي تؤكد صحة الأقوال

---

[34] المصدر نفسه، ج01، ص171.

[35] المصدر نفسه، ج01، ص171.

[36] التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ج02، ص215.

المنارة للاستشارات

الثلاثة إذ ختم بعدها بقوله: "والآية تتحمل جميع المعاني المقبولة"[37]. وأعطى الشيخ قولا جمعا لتلك الأقوال، جالبا فيه مقاصد الشريعة وقواعد النحو، إذ أن "وقوع فعل تلقوا في سياق النهي يقتضي عموم كل إلقاء باليد للتهلكة أي كل تسبب في الهلاك عن عمد فيكون منهيا عنه محرما ما لم يوجد مقتض لإزالة ذلك التحريم وهو ما يكون حفظه مقدما على حفظ النفس مع تحقق حصول حفظه بسبب الإلقاء بالنفس إلى الهلاك أو حفظ بعضه بسبب ذلك. فالتفريط في الاستعداد للجهاد حرام لا محالة لأنه إلقاء باليد إلى التهلكة، وإلقاء بالأمة والدين إليها بإتلاف نفوس المسلمين"[38].

المسألة الثالثة: قوله تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ} سورة البقرة 197.

نقل الشيخ اختلافين في هذه الآية فالاختلاف الأول كان "في أن ذا الحجة كله شهر أو العشر الأوائل منه أو التسع فقط، أو ثلاثة عشر يوما منه، فقال بالأول ابن مسعود وابن عمر والزهري وعروة بن الزبير وهو رواية ابن المنذر عن مالك، وقال بالثاني ابن عباس والسدي وأبو حنيفة وهو رواية ابن حبيب عن مالك. وقال بالثالث الشافعي، والرابع قول في مذهب مالك ذكره ابن الحاجب في «المختصر» غير معزو"[39]. فقد عرض الشيخ الخلاف الذي حدث حول عدة الحج؛ وعزا كل قول لأصحابه وعلى هذا يبني الاختلاف الثاني، الذي حدث بين العلماء في الهلال بالحج قبل دخول الحج، وذكر تلك الأقوال التي ذهب إليها أصحابها وأدلتهم في ذلك[40]، ورغم كل هذا لم يرجح الشيخ قولا واحدا من تلك الأقوال، بل أعطى تقييمه ووجهة نظره الخاصة به بعد تمحيص تلك الآراء بقوله: "ولاحتمال الآية

---

[37] المصدر نفسه، ج02، ص215.

[38] المصدر نفسه، ج02، ص215.

[39] المصدر نفسه، ج02، ص232.

[40] ينظر: المصدر نفسه، ج02، ص232.

المنارة للاستشارات

عدة محامل في وجه ذكر أشهر الحج لا أرى للأئمة حجة فيها لتوقيت الحج"[41]. فتعدد معاني الآية وتعدد محاملها جعل الترجيح أو الجمع في تلك المقارنة أمرا صعبا جدا، إذ يمكن لتلك الآراء أنها كلها صحيحة أو فيها احتمال أو أكثر صحيح، فلم للشيخ أي دليل متعاضد يرجح به أو يجمع به تلك الأقوال.

المسألة الرابعة: قوله تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ} سورة الأنعام 121.

نقل الشيخ طاهر ابن عاشور اختلاف الفقهاء في حكم التسمية على الذبائح، "فأحدها أن المسلم إن نسي التسمية على الذبح تؤكل ذبيحته، وإن تعمد ترك التسمية استخفافا أو تجنبا لها لم تؤكل، فقال مالك، في المشهور، وأبو حنيفة، وجماعة، وهو رواية عن أحمد: لا تؤكل. وثاني الأقوال قالوا أنها تؤكل وهذا قول الشافعي وجماعة، ومالك في رواية عنه، وقيل: إن ترك التسمية عمدا يكره أكلها، قاله أبو الحسن بن القصار، وأبو بكر الأبهري من المالكية، وقال أشهب، والطبري: تؤكل ذبيحة تارك التسمية عمدا، إذا لم يتركها مستخفا. وقال عبد الله بن عمر، وابن سيرين، ونافع، وأحمد بن حنبل، وداود: لا تؤكل إذا لم يسم عليها عمدا أو نسيانا"[42]، أخذ الطاهر ابن عاشور هذه الأقوال بالتحليل والمناقشة ونقد الأقوال، مستندا في ذلك على القواعد الفقهية والأصولية، إلا أن توصل إلى ترجيح القول الثاني بقوله "وأرجح الأقوال: هو قول الشافعي. والرواية الأخرى عن مالك، إن تعمد ترك التسمية تؤكل، وأن الآية لم يقصد منها إلا تحريم ما أهل به لغير الله بالقرائن الكثيرة التي ذكرناها آنفا، وقد يكون تارك التسمية عمدا آثما، إلا أن إثمه لا يبطل ذكاته، كالصلاة في الأرض المغصوبة عند غير أحمد"[43]. تتبع الشيخ

---

[41] التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ج02، ص233.

[42] ينظر: المصدر نفسه، ج08-أ، ص40-41.

[43] المصدر نفسه، ج08-أ، ص41.

المنارة للاستشارات

طاهر ابن عاشور منهجية التفسير المقارن في عرض الأقوال الفقهية، مما مكنه من تحديد القول الراجح بين تل الأقوال.

المسألة الخامسة: قوله تعالى: {ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (29)} سورة الحج 29.

إن كلمة التفث الواقعة في القرآن الكريم؛ كلمة تردد حولها المفسرون، إذ يقول الطاهر ابن عاشور: "والتفث: كلمة وقعت في القرآن وتردد المفسرون في المراد منها. واضطراب علماء اللغة في معناها لعلهم لم يعثروا عليها في كلام العرب المحتج به"[44]. تعذر الشيخ لهؤلاء العلماء لأنهم لم يتوصلوا إلى معنى هاته الكلمة لعل هذا راجع إلى اختلاف لهجات القبائل واختلاف معناها ومرادها عند كل قبيلة. لم ينتهي الشيخ عند هذا الاعتذار؛ بل ذهب يعرض تلك الأقوال وينسبها إلى أصحابها، "فابن عمر وابن عباس قالا أن التفث مناسك الحج وأفعاله كلها، وقال نفطويه وقطرب أنه الوسخ والدرن. ورواه ابن وهب عن مالك بن أنس، واختاره أبو بكر بن العربي، وروي عن أبي عبيدة أن التفث قص الأظفار والأخذ من الشارب وكل ما يحرم على المحرم، ومثله قوله عكرمة ومجاهد، وقال صاحب (العين) والفراء والزجاج: التفث الرمي، والذبح، والحلق، وقص الأظفار والشارب وشعر الإبط. وهو قول الحسن ونسب إلى مالك بن أنس"[45].

نهج الشيخ طاهر ابن عاشور المنهج المقارن في دراسة هذه الآراء؛ ومن ثم أعطى رأيه الخاص به في هذه المسألة، إذ يقول: "وعندي أن فعل ليقضوا ينادي على أن التفث عمل من أعمال الحج وليس وسخا ولا ظفرا ولا شعرا"[46]. ويؤيده ما روي عن ابن عمر وابن عباس آنفا. وأن موقع (ثم) في عطف جملة الأمر على ما قبلها

[44] المصدر نفسه، ج17، ص248.

[45] التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ج17، ص249.

[46] المصدر نفسه، ج17، ص249.

المنارة للاستشارات

ينادي على معنى التراخي الرتبي فيقتضي أن المعطوف ب(ثم) أهم مما ذكر قبلها فإن أعمال الحج هي المهم في الإتيان إلى مكة، فلا جرم أن التفث هو من مناسك الحج وهذا الذي درج عليه الحريري في قوله في المقامة المكية: «فلما قضيت بعون الله التفث، واستبحت الطيب والرفث، صادف موسم الخيف، معمعان الصيف»"[47]. كان للشيخ دليلين للاحتجاج بينهما على وجهة رأيه؛ فالدليل الأول كان من آثار السلف الصالح والدليل الثاني كان من قواعد النحو وكلام العرب الذي يعد مصدرا للاحتجاج.

خاتمة:

إن المنهج المقارن من المناهج التي كان لها الأثر البالغ في تحديد أوجه الاختلاف والائتلاف بين أقوال المفسرين، وهو منهج يتم على صبر الأقوال وتحليلها ومناقشتها ومحاولة لتقديم القول الراجح إن أمكن.

ظهر هذا المنهج جليا في تفسير التحرير والتنوير للشيخ طاهر ابن عاشور؛ إذ كان يعرض أقوال المفسرين في الآية الواحد، ثم يعزوها لأصحابها، ويناقشها ويحللها، وكان ينقد بعضها لأن معنى الآية لا يحتملها.

كان للشيخ طاهر ابن عاشور بعض الآراء الخاصة وفق ما وصلت إليه مناقشته وتحليله لهاته الأقوال، وكان مستنده في ذلك إما قواعد اللغة العربية أو المقاصد الشرعية وغيرهما.

[47] المصدر نفسه، ج17، ص249.

المنارة للاستشارات

قائمة المصادر والمراجع:

1) أبجديات البحث في العلوم الشرعية، فريد الأنصاري، دار السلام-القاهرة، الطبعة السادسة، 1439هـ-2018م.

2) بيان موقف شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر ابن عاشور التونسي من الشيعة من خلال تفسيره "التحرير والتنوير"، خالد بن أحمد الشامي، الطبعة الثانية، 1434هـ-2013.

3) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر-تونس، د.ط، 1984.

4) تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى، 1404هـ-1994م.

5) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم-دمشق، الطبعة الثالثة، 1429هـ-2008م.

6) التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق، روضة عبد الكريم فرعون، إشراف فضل حسن عباس، دار النفائس-الأردن، الطبعة الأولى، 1436هـ-2015م.

7) جمهرة اللغة، أبو بكر الأزدي، تح: زمزي بعلبكي، دار الملايين-بيروت، الطبعة الأولى، 1987م.

8) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الفارابي، تح: أحمد عطار، دار الملايين-بيروت، الطبعة الرابعة، 1407هـ-1987م.

9) الفقه الإسلامي المقارن، فتحي الدريني، مطبعة طربين، د.ط.

10) معجم اللغة العربية المعاصر، أحمد مختار وآخرون، عالم الكتب الطبعة الأولى، 1431هـ-2010م.

11) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، د.ط.

المنارة للاستشارات

12) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م.

منهاج الطالب في المقارنة بين المذاهب، عبد السميع أحمد إمام، الوعي الإسلامي-الكويت، الطبعة الأولى، 1433هـ

المنارة للاستشارات